اسم المقياس: النص الأدبي القديم–شعر–

اسم الأستاذ: محمد سيف الإسلام بـوفـلاقـــــة

المستوى:سنة :01،ليسانس

التخصص:جذع مشترك ميدان اللغة والأدب العربي

الشعر العربي القديم: تاريخياً وجغرافياً

تمهيد في بيئة الأدب العربي قبل الإسلام (لمحة تاريخية وجغرافية)

أولاً : جزيرة العرب (أحوالها الطبيعية) :

1- موقعها :

تقع جزيرة العرب في الجنوب الغربي من آسيا، يحدُّها من الغرب البحر الأحمر، ومن الجنوب المحيط الهندي، ومن الشرق الخليج العربي وعُمان. أمَّا في الشمال فتحدُّها باديةُ الشام والعراق.

وهي شبهُ جزيرةٍ تبلُغُ ثلاثةَ ملايين كيلومتر مربع. وسُمّيتْ جزيرة من قبيل التوسع، لأنَّ الماء لا يُحيط بِها من جهتها الشمالية.

2- أقسامها وطبيعتها :

وقد قسّمها الجُغرافيون إلى خمسة أقسام[1] :

القسم الأول : اليمن في الجنوب، وتسمى الخضراء، لِمَا فيها من المزارع والأشجار والمراعي والمياه، وهي خمسةُ أصقاع : حَضْرَ مَوْت، ومَهْرَة، والشِّحْر، وعُمان، ونجران، وأرضها منخفضة على شَاطِئ البحر، مرتفعةٌ في الدّاخل، تتمتَّعُ – بسبب إشرافها على المحيط الهندي والبحر الأحمر – بجوٍّ مُعتدلٍ وأمطارٍ غزيرةٍ، وتُرْبةٍ خِصبةٍ. هيأت لأهلها الاستقرار، فأنشأوا السدودَ، وخزَّنوا المياه وأقاموا حضارةً عريقةً، وأشهرُ مُدُنِها : صنعاء، وكانت سرير ملوك اليمن، ومأرِب المشهورة بسدها ويُقال لها سَبَأ، وعَدَن، وغيرها...

القسم الثاني : نجد، وهي القسم المرتفع، يقع بين العراق شرقا، وبادية الشام شمالاً، والحجاز غربا، واليمامة جنوبًا، وهي من أحسن بقاعِ الجزيرةِ جوًّا، وأصَحها هواءً، وأجملها بيئةً ولاسيما في فصل الربيع، حيثُ تزدانُ أرضُها بالأزهار والأدواحِ الظليلة، وهضبةُ نَجد هي المكانُ الذي نشأ فيه فُحولُ الشُّعراء قبلَ الإسلام، وفيه أرضُ العالية التي كان يحميها كُلَيْب.

القسم الثالث : تِهامَة : وهي الأرضُ المنخفضةُ على ساحل البحر الأحمر، بين اليمن والحجاز، وهي شديدةُ الحرارةِ، قليلةُ المطر والنبات.

---

(1) استقينا هذه المعلومات المتعلقة بجزيرة العرب من كتاب أدباء العرب في الجاهلية وصدر الإسلام، لبطرس البستاني، ج1، ص : 6 وما بعدها. دار مارون عبود، بيروت، 1986م.

القسم الرابع : الحجاز : ويُطْلقُ على سلسة الجبال التي تمتدُّ من شمالي اليمن إلى أطراف بادية الشام، وَجوُّه شديدُ الحرارةِ، ومَطرُه قليلٌ، وأرضُه قفرة إلاَّ في بعض المناطق، حيثُ يعتدلُ الجوُّ، وتَجودُ الأرضُ كما في الطائف. ومن اشهر مدنه : مكة (أمُّ القُرى)، وفيها البيتُ والكعبة وغار حِرَاء وبئرُ زَمْزَم، والحجر الأسود، ومن أماكنها المشهورة عند المسلمين أيضا والتي يؤدون فيها مَناسك الحجّ الصَّفَا والمروة (وهما جبلان معروفان)، ووادي مِنَى، وجبل عرفة، ومن مُدُنِه أيضا يَثرب (مدينة الرسول)، والطائف، وخَيبر، وفيه سوق عكاظ، وماء بدر.

القسم الخامس : اليمامة : وتشملُ البَحرين أيضا، وهي الأرض التي تعترض بين نجد واليمن.

وإلى جانب هذه الأقسام نجدُ صحراء واسعة، تمتدُّ من وسط الجزيرة، وتَشْمُلُ أكبر جُزء من جزيرة العرب، وهي مختلفة في طبيعتها، فهي حينًا رِمالٌ ليّنةٌ تغُوص فيها الأقدام، وحينا أرضٌ صلبةٌ، أو حجارةٌ سوداء كَأنَّها أُحْرِقَت بالنَّارِ.

وجوُّ الجزيرة قاريٌّ، يشتدُّ حرُّها صيفًا ويشتدُّ بَرْدُها شِتَاءً. وليس بالجزيرة أنهار جارية، ولهذا يعتمد أهلها على المطر، وما ينشأ عنه من آبارٍ وأودية، يجري فيها الماءُ حينا، ويَجِفُّ حينًا آخر. ومن أوديتها وادي القُرى بالقرب من المدينة المنورة، ووادي الرُّمة بعالية نَجد. ومطرها قليلٌ ونادرٌ.

أمَّا هواءُ الجزيرة فيختلف باختلاف ارتفاعها وانبساطها، ففي الجبال وعلى شاطئ البحر الجنوبي يَهُبُّ معتدلاً، وفي السهول يلفح حارًّا، وتَهُبُّ ريحٌ مُحْرِقةٌ من الجنوب والغرب تعرفُ بالسَّمُوم.

ثانيا : من هم العرب ؟

العرب أُمَّةٌ من الشعوب السامية [1] العريقة في القدم، اتخذوا أرض الجزيرة موطنًا لهم منذ عصور قديمة، وكان منْهم البدوُ الذين يألفون الخيام ويعيشون عيشة تنقُّلٍ وارتحالٍ، يتتبَّعُون منابتَ الكلإ في الصحراء الشاسعة، وهؤلاء هم أكثرُ سكَّانِ الجزيرة. وكان منهم الحَضَرُ الذين سكنوا المُدُنَ والقُرى كأهل اليمن في الجنوب.

أقسام العرب :

يُقْسم العرب، بالنظر إلى أصلهم، إلى ثلاثة أقسام[2] :

1- **العربُ البائدةُ** : وهم العربُ الأوّلونَ الذين لم تصلنا أخبارهم كاملة لقدم عَهْدِهم، ولا نَعلمُ عنهم إلاَّ أخبارًا موجزةً ذكرها القرآن الكريمُ، وأساطير مُستَمْلحَةً زيَّنها الرُّواةُ، وقد قيل إنَّهم قبائلٌ سبعٌ : عاد، وثمود، وصَحارِ، وجاسم، ووبار، وطَسْم، وجّدِيس. ومساكنهم كانت بُعمان والبحرين، واليمامة. أمّا لغتهم فيقال إنّها كانت من اللغات الخشنة.

---

(1) الشعوب السامية : هي التي تحدَّرت من سام بن نوح، وهم : الأشوريون، والبابليون، والعِبْرانيّون، والفينيقيون، والآراميون، والحبشان، والعرب.

(2) أُنظر: جرجي زيدان: العرب قبل الإسلام، ص : 48 وما بعدها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966. ومحمد الطيب وإبراهيم عبد الرحيم: تاريخ الأدب والنصوص الأدبية... ص: 23.

2- **العرب العاربة** : وهُم القحطانيون (عرب اليمن) أو عرب الجنوب، ويُنسبون إلى يِعرب بن قحطان بن عابر بن شالح بن أزفخشاد بن سام بن نوح.

وقيل إنَّ العرب العاربة هم أصل العرب، ولِذَا سُمّيت بذلك. أمَّا لُغَتُهم فهي اللغة الحِمْيَرِية، وهي اللغة العربية الأصلية.

3- **العرب المستعربة** : وهم العدنانيُّون، نسلُ عدنان بن إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام، ويُسَمّون عرب الشمال، وسُمّوا المستعربة لأنّهم وفدوا إلى الجزيرة العربية من البلاد المجاورة، واختلطوا بأهلها فتعرَّبوا. ومن هؤلاء : الحجازيون والنّجديّون، والأنباط، وأهل تَدْمُر. ومن قبائلهم : نزار، وربيعة، ومُضَر، وبكر، وثغلب، وذُبيان، وقريش.

ثالثا : الحياة السياسية[1] :

كان للحياة السياسية في جزيرة العرب قبل الإسلام ثلاثة مظاهر :

1 -**الحكومة القبلية** : وقد كانت رئاسة بالعصبية، وذلك أنْ تُقدّم القبيلة شخصًا منها كبير السّن عادة، وقد يكون صغير السّن إذا اجتمعت فيه الحكمةُ والغنى والعدلُ والوجاهة. وكان شيخُ القبيلة يحكمها بالشورى (باستشارة ذوي الرأي والوجاهة)، وحُكْمُه في كُلّ شيء غير مردودٍ في قبيلته. أمَّا إذا حدث خلافٌ بين قبيلتين فالفصل في هذا الخلاف يكون بالتحكيم، وقدْ ترفُضُ إحدى القبيلتين الحُكم فتلجأ إلى الحرب.

2- **الحكم في المدن التجارية** : وكان الحُكم في المدُنِ التّجارية بيَدِ حَفْنَةٍ قويةٍ من أهل المدينة مِنَ التّجار والوجهاء يحكمون على هواهم ويقتسمون الغنائم على مقدار ما كان لكلّ واحد منْهُم من النّفوذ المادي أو المعنوي .

3- **النُّفوذ الأجنبي** : كان الروم (البيزنطيون) والفُرس أعداءً لم تفتُرِ الحربُ بينهم منذ القرن السادس قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده، أثنى عشر قرنًا وكانوا في أثناء ذلك يتداولون السيطرة على الشام والعراق. وفي القرن الرابع الميلادي وصل إلى جنوبي العراق قبائلٌ يمانيةٌ من بني لخم فشجَّعَهُم الفُرس على أنْ يُقيموا إمارة في الحيرة، قرب الكوفة، وأنْ يكونوا لهم عُيُونًا وعَوْنًا على أعدائهم الروم. وقَدْ عُرِفَ هؤلاء باللخميين أو المناذرة. وفي الوقت نفسه أنشأ الغساسنة مملكةً في حوران والجولان بالشام تحت جناح الرّوم وعلى حدود دولتهم.

4- الإمارات العربية في الجاهلية[1] :

---

(1) استقينا هذه المعلومات المتعلقة بالحياة السياسية من كتاب تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ، ج 1، ص : 66 وما بعدها، دار العلم للملايين، بيروت، ط6، 1992م. وانظر أيضا : محمد الطيب : المرجع السابق، ص : 24 – 25.

(1) انظر محمد الطيب : المرجع السابق، ص : 24 – 25.

(2) سورة سبأ، الأية : 15. وسبأ : اسم رجل وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وهو أول ملوك اليمن وكان له عشر أبناء تفرق جمعهم بين سيل العرم... ويعتبر هؤلاء الأبناء أصولاً تفرّع منهم سكان الجزيرة العربية...

كان للعرب المتحضرين في الجاهلية إماراتٌ أو ممالكٌ، من أشهرها : مملكة حِمْير، ومملكة المناذرة بالحيرة، ومملكة الغساسنة بالشام، وكِنْدَة بنَجد.

أ –**مملكة حِمْيَر** : هي مملكةُ سبإ، امتدّت من القرن السابع قبل الميلاد إلى القرن السادس بعده، وقد امتدَّ نفوذُها إلى اليمن، وحَضْرَ مَوْت، وشواطئ المحيط الهندي. وقد روى التاريخ القديم : « أنَّ أرضَ سَبَإ كانت من أخْصَبِ أرضِ اليمن، وأغناها، وأكثرها جِنَانًا، وأفْسَحَها مُروجًا، بين بنيانٍ وجسْرٍ مُقيمٍ، وشجرٍ مَوْصوفٍ، ومساكبَ للماءِ متكافئةٍ، وأنْهارٍ متَفَرّقةٍ، وكانَ السائرُ فيها لا يُفارِقُه الظِّلُّ، ولا يَرَى الشمسَ، لأنّ ظِلّ العِمارة والشجَر قد كَسَا الأرْضَ وستَرَها، فكان أهلُها في أرْغَدِ عَيْشٍ، وكانت مملكتُهم من أعظم الممالك ». وقد تحدث القرآن الكريم عن ذلك، فقال تعالى : **[لقد كَانَ لِسَبَإٍ في مَسْكَنِهِمْ جَنَّتَانِ عَنْ يَمينٍ وَشِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ ربكُمْ واشكُروا لَهُ، بَلْدَةٌ طَيّبَةٌ ورَبٌّ غَفُورٌ]**[2].

وكانت قاعدتُهَا « ريدان »، وتسمى الآن « ظفار » وقد كانت بين بلاد اليمن، وبين البلاد الأخرى صلاتٌ تجارية كبيرة، ولم تقتصر تجارتهم على منتجات بلادهم، بل كانت تشمُلُ كل ما يجلبونه من بلاد إفريقيا والهند من السّلع كالعاج والحجارة الكريمة، والعُطور. وكانت تجارةُ الرقيق من أهمِّ أنواع التجارة عندهم.

ب– مملكة المناذرة أو إمارة الحيرة : وهي مملكة اللّخميين، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق من حديث، وقد امتد عهدُها من القرن الثالث أو الرابع إلى القرن السابع للميلاد.

وأوَّل من اتّخذ الحيرة دارًا لملكه عَمْرو بن عَديّ بمساعدة الفرس. وكان ملُوك الحيرة مُوالين للفرس يأتمرون بأمْرِهم، ويحمون فارسَ من كلّ عدوّ مُهاجم من نواحيهم. والفرسُ مقابلَ ذلك يعفونَهُم من دفع الإتاوة.

وكانت الحيرةُ منْ أعظم المدنيات الراقية في ذلك الوقت، وكانت تنافس القسطنطينية عاصمة الروم وعاصمة الفرس المدائن.

وظلت الحيرةُ تابعةً للفرس إلى أنْ قوَّضَ الخلفاءُ المسلمون دولة الأكاسرة، واحتلوا بلاد الفرس. واشتهر من ملوك الحيرة النعمان بن المنذر، وعمرو بن هند.

ج **مملكة الغساسنة** : كوّنَ الغسّانيون في الشام إمارةً كالتي كوّنَها اللّخميون في الحيرة، ويذكر المؤرخون كذلك أنَّ أصلهم من اليمن، وتشمل إمارتُهم معظم بلاد حوران والجولان، وشرقي الأردن، وكانوا عُمّالاً للقياصرة البيزنطيين، ومن أشهر ملوكهم : الحارث بن جَبَلَة الأعرج، وكانت مملكة الغساسنة أيضا من المدنيات الراقية. وكان بين الغسانيين وبين إمارة الحيرة عداءٌ شديدٌ، وكثيرًا ما وقعت بينهم الحروب الهائلة.

د –**مملكة كِنْدَة** : وهي من الممالك التي امتد سلطانُها من سنة 450 إلى سنة 540 م. وقد انْهَارت هذه المملكة بانْهيار مملكة التبابعة الذين كانوا يؤيدونَهَا، وقُتِل مَلِكُها حُجْر والدُ امرِئ القيس الشاعر المشهور. وقامت هذه الإمارة في شمال نجد وكان أمراؤها يدينون بالولاء لليمن.

رابعا : الحياة الاجتماعية :

قد أشرنا فيما سبق من حديث أنَّ العرب في الجزيرة كانوا قسمين : بدوًا وحَضَرًا.

فأمَّا البدوُ فكانوا يعيشون في الخيام ويَتَتَبَّعُون مساقط المياه، ومنابت الكلإ في البادية، وهم يعيشون على رعي الإبل، يأكلُون لحومَها، ويشرَبُون ألبانها، ويكتَسونَ بصُوفِها ووبَرِها. ويتّخذونَ من أصوافِها مساكنهم. وإذا احتاجوا إلى غير ما تُنتِجُه ما شيّتُهُم تعاملوا من طريق البدل، فكانوا يستبدلون بالماشية ونتاجِها ما يحتاجُون من تمْرٍ ولباسٍ. وقد يَلْجَأون إلى الغارة والسلب إنْ دَعَتْهُم الحاجة، فيغيرُون على قبيلة مُعادية، فيأخذون جِمَالَهُم، ويَسْبَوْن نِساءَهُم وأوْلادَهُم، وتتربَّصُ بِهِمُ القبيلة الأخرى فَتَفْعَلُ بِهم مثل ما فعلوا بِهَا.

أمَّا الحَضر من العرب فكانوا أرْقَى من ذلك بكثير يعيشون في رغدٍ من العيش، يسكنون المدُن والقُرى، وتغلبُ عليهم الحضارة، ويشتغلون في التجارة أو الزراعة أو الصناعة [1] كأهل اليمن لحظّ بلادهم من الخصب، وأهل الحجاز لقيامهم على البيت الحرام، وإيلافهم رحلة الشتاء والصيف [2]، وقد أسَّسَ العربُ من الحَضْرِ المدُنَ والحُصونَ، وشيدوا القصور الشاهقة كقصر غُمْدان [3] الشهير والخَوَرْنَق [4] والسّدِير [5]، وكانت لهم ممالك ذات مَدَنيّةٍ كمملكة حمير في اليمن، ومملكة الغَساسنة في الشام، واللخميين في العراق، ومملكة كِنْدة في نجد.

أمَّا مكانة المرأة في الجاهلية : فكانت تختلفُ باختلاف القبائل والبيئات التي تعيش في كنفها، فالجاهليون يحترمون المرأة في نواح، ويمتهنونها في نواح أخرى، لأنَّ العرب قبل
الإسلام لم يكنْ لهم موقفٌ موحد من المرأة.

لقد كان عددُ النّساء في الجاهلية يزيدُ دائمًا على عدد الرجال أضعافًا مضاعفة بسبب الغزوات المتوالية والحروب الطوال التي كانت تُقَصِّرُ أعمار الذكور، وتقلِلُ عدَدَهُم، ممّا جعل ظاهرة تعدّد الزّوجات تنتشرُ بشكل كبير، فللرَّجُلِ أنْ يُعدِّدَ الزوجات مقدارَ طاقته إلاَّ إذَا اشترطتْ المرأةُ عدم التعَدّدِ، وتعاقدَا عليه. وكانوا لا يجمعون

---

(1) كصناعة السيوف ودباغة الجلود وصناعة العطور التي حملوها إلى جميع البلدان.

(2) لتألّفِ قريش رحلة الصيف إلى بلاد الشام، ورحلة الشتاء إلى اليمن.

(3) قصر غُمْدان في صنعاء باليمن، وكان علوُّه عشرين سقفًا طباقا بين كلّ سقفين عشرة أذرع، فكان ارتفاعه مئتي ذراع (معجم ما استعجم للبكري)، ج3، ص : 1002.

(4) الخَوَرْنَق : (بفتح أوّله وثانيه، وراء مهملة ساكنة، ونون مفتوحة، وآخره قاف) : قصر النُّعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن عديّ، بظهر الحيرة، بناه له رجلٌ روميٌّ يُقال له : سِنِمَّار، فلمَّا فرغ منه ألقاهُ من أعلاه فخَرَّ ميّتًا، وإنما فعل ذلك لِئَلاَّ يَبني مثله لغيره، وقيل إنَّه مكث في بنائه ستين سنة، فضربت العربُ به المثل لمن يُجْزَى بالإحسان الإساءة.

(5) السَّدِير : قصر قريبٌ من الخوَرْنق اتَّخَذَهُ النعمان بن امرئ القيس لبعض ملوك العجم، وقيل : سمي السَّدِير لكثرة سواده وشجره. قال المَنَخَّلُ :

وإذا اصَحوتُ فإنَّني رَبُّ الشُوَيْهَةِ والبَعيرِ
وإذا سَكِرْتُ فَإنّني رَبُّ الخَوَرْنَقِ والسَّدِيرِ

في الزواج بين الأختين، ولا بين المرأة وابنتها [1]، ولكن أشكال الزّواج عندهم تعدّدت، فكان زواجُ امرأة الأب، فأبطله الإسلام، وسماه : زواج المِقْت لأنّه ممقُوت (فكان الرّجل إذا مات ورِثَ أبناؤه نساءه، على ألاَّ يتزوج أحدُهم أمّه التي وَلَدَتْه). وزواج المهر (وهو الشكل الذي قبله الإسلام فيما بعد). وزواج الاسترقاق (بالشراء). وزواج السبي. وزواج المتعة (الزّواج المؤقت). وكان هناك زواج الاستبضاع الذي لا يختلف عن الزنا في شيء (وذلك أنْ يُعْجَبَ رَجُلٌ بفارسٍ أو بطلٍ أو شريف فيسمحُ لإحدى نسائه أنْ تستبضِعَ منه. ويبدو أنَّ ذلك الأمر كان شاذًّا جدّا).

وللزّوج عندهم حق الطلاق دون المرأة إلاّ إذا اشترطته في عقد الزواج. ولا يحقُّ للزوج أنْ يسترجع امرأته بعد تطليقها ثلاثا، ولكنَّه يسترجعها إذا طلقها مرة أو مرتين [2]. وإذا كانت المرأة في بيت مِن شَعر، وأرادت الطلاق، حوّلت بابَه إلى الجهة المقابلة، فيعلمُ زوجُها أنَّها طلّقته، فلا يدخُلُ الخِباءَ شأن حاتم الطائي عندما طلقته زوجه ماوية[3]. وإذا مات الزوجُ تربّصت سنة معتدة، لا تخرج من بيتها، ولا تمسُّ ماء، ولا تقلّم ظُفرًا، حتى إذا استكملت عدّتَها خرجت بأقبح منظر وأقذره [1]. والعدّةُ للمرأة انتظار ليُعْلَمَ فيها وجودُ الولدِ وعدمُه. وقد جعل الإسلامُ العدة أربعة اشهر وعشرًا. بالإضافة إلى ذلك كانت المرأة الجاهلية تعاني جملة من المظالم في بعض القبائل العربية، كحرمانها من الإرث، واعتبارها كالسائمة تورثُ مع سوائم زوجها، وتَعَدُّدِ الزّوجات الذي كان بلا حدود، ولا شك في أنّ الزوجات اللائي يصلُ عددُهنَّ إلى العشرات والمئات أحيانًا زوجات تعيسات جدًّا.

أمَّا ظاهرة وأد البنات عند العرب في الجاهلية فكانت منتشرةً عند بعض القبائل بصورة بشعة تشمئزُّ منْها النفوس وتدمي القلوب، والوَأْدُ هو دفْنُ الأب لابنته وهي حية عن طريق دسِّها في التّـُراب، وكان الوأدُ يجري مباشرة بعد الولادة، وربَّما انتَظرَ والدُها حتى تبلغ السادسة، فيطلب من والدتها تطييبها وتزيينها، ثم يأخُذُها معه فيَدفَعُها في حُفرة أعدَّها لها في الصّحراء، ويُهيلُ عليها التراب، وقد يؤجّلُ وَأْدَها حتّى سِنّ البُلوغِ.

ويبدو أنَّ عادة وأد البنات لم تكنْ مُتفشيةً في كل قبائل العرب وإنما كانت مقصورة على بعض القبائل فقط، منها : ربيعة، وكندة، وطيء، وتميم، وكنانة، وقريش، وغيرها...

وقد عَزا اللهُ سبحانه وتعالى هذه العادة إلى الفقر، فنهى عن ذلك بالآية الكريمة **[ولا تَقْتُلوا أَولاَدَكُم خَشْيَةَ إمْلاَقٍ، نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وإيَّاكُم، إنَّ قَتلَهُم كَانَ خِطئًا كَبيرًا]**[2].

---

(1) أدباء العرب لبطرس البستاني، ج1، ص : 22. وبعض المصادر ذكرت أنَّهم كانوا يجمعون بين الأختين. وانظر الدكتور عمر فروخ : تاريخ الأدب العربي، ج1، ص : 60. وعنه نقلنا أشكال الزواج بتصرف.

(2) وهو الشكل الذي قبله الإسلام فيما بعد (انظر بطرس البستاني : المرجع السابق، ص :23).

(3) بطرس البستاني : المرجع السابق، ص : 23.

(1) بطرس البستاني : المرجع السابق، ص : 23.

(2) سورة الإسراء الآية : 31.

وبالرُّغم من ذلك فقد كان للمرأةِ في الجاهلية مكانة مرموقة، ومنزلة عالية لدى كثير من القبائل العربية وفي كثير من المجالات، فقد كانت تَتَّصِفُ بجملةٍ من الصفات الأخلاقية، كالأنفة، والعفاف، والكرم، والجرأة والشجاعة، ونجدة الملهوف، كما كان لها رأي وإرادة.

وممّا يدل على علّو مكانة المرأة في الجاهلية أنَّ العرب ملكوها عليهم ولم يروا في ذلك غضاضة، فقد ذكرت المصادرُ القديمةُ أنَّ كثيرات من النساء وصلن إلى الملك والرئاسة، ومنهن : بلقيس ملكة سبإ التي وردت قصّتُها في القرآن الكريم حيث ذكرها اللهُ سبحانه وتعالى بقوله : [**وأُوتيتْ مِن كُلِّ شيءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عظيمٌ**][1].

ومن ملكات العرب قبل الإسلام أيضا : زينب أو الزباء ملكة تَدْمُر، وقد تربعت على عرش الجزيرة والشام حقبة من الزمن وغيرهما.

أما عملها فبالإضافة إلى الأعمال المنزلية من تربية أطفال، وطهي الطعام، وجلب الماء والحطب، ورعي الماشية وحلبها نجد المرأة تشارك الرجل في أعمال الارتزاق، كالتطبيب وصناعة الرماح، والتجارة، وجمع الكمأة (نَبْتٌ أبيض حلو) من الأدوية وبيعها ودَبغ الجلود، وتنميق الحصير، وانتجاع الأسواق، وارتياد مختلف الأحياء، والنياحة على الموتى، والإرضاع، والكِهانة، وغيرها...

(1) سورة النمل، الآية : 23.